صِرَاط

ملخصات الدروس الشرعية

الشرح المفصل

الدرس 2

توحيد الربوبية - ثمرات إيمانية ومظاهر انحراف

3392 — المهندس علاء حامد

youtube.com/watch?v=TH_1ruHG15s

الشرح المفصل

8 محاور

في هذا الملف

موضوع الكتاب وأدلة الأركان الستة 1

الإيمان بالله أصل الأصول والتقسيم الثلاثي 2

معاني التوحيد الثلاثة 3

الرب لغةً واصطلاحًا ومنهج الدراسة 4

التدبير: الأدلة والمطلوب 5

الانحراف في التدبير والشبهة والثمرات 6

الملك التام: الأدلة والمعنى والانحراف والثمرات 7

السيادة والتشريع وضابط الشورى 8

1 موضوع الكتاب وأدلة الأركان الستة

يدرس الكتاب أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد بدأ بذكر الأدلة من الكتاب والسنة على هذه الأصول قبل تفصيلها

واحدًا واحدًا.

- النساء 136 جمعت الأصول: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله فقد ضل ضلالًا بعيدًا.
- البقرة 177: ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.
- البقرة 285: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله.
- القدر: إنا كل شيء خلقناه بقدر.
- حديث جبريل لعمر: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره — وختمه بقوله: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم.

2 الإيمان بالله أصل الأصول والتقسيم الثلاثي

الإيمان بالله أهم أصول الإيمان وأعظمها شأنًا وأعلاها قدرًا، بل هو أصل أصول الإيمان وأساس بنائه وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه راجعة إليه مبنية عليه.

وسمي الدين توحيدًا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له.

- التقسيم الثلاثي (ربوبية من رب، وألوهية من إله، وأسماء وصفات) سببه أن محور الإيمان بالله يدور حول هذه المعاني الثلاثة فقط، ودراستها مختلطة تخلط الفروق الواضحة بينها.
- التقسيم اصطلاحي لا شرعي: اتفاق بيننا للتسهيل كتقسيمنا الفقه إلى الطهارة والوضوء والتيمم والغسل — فليس بدعة ولا وحيًا من عند الله.
- الفرق بينهما: الشرعي تترتب عليه أحكام (كتقسيم الشرك إلى أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج)، والاصطلاحي لا يترتب عليه أي حكم.
- تحذير: من رتب أحكامًا على هذا التقسيم (فيعذر بالجهل في الأسماء والصفات ولا يعذر في الألوهية) فقد حوّله إلى بدعة — وهو مبحث عميق يُترك للمستويات الأعلى.

3 معاني التوحيد الثلاثة

توحيد الربوبية: أن توحد الرب بصفات الرب وأفعال الرب — تعتقد أن هذه الأفعال لله فقط، وهو توحيد علمي خبري أي مجرد معلومة في النفس: إن صح اتجاهها فأنت مؤمن وإن فسد فأنت كافر.

توحيد الألوهية: توحيد الرب بأفعال العبد — فأفعالك لا تتوجه إلا لله: الصلاة والذكر والدعاء والنذر والذبح والرجاء والخوف، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فهو مشرك.

توحيد الأسماء والصفات: تعتقد أن أسماء الله وصفاته على ما يليق به لا يشاركه فيها أحد ولا ند له فيها ولا مماثل، وهي في ذاتها كاملة لا نقص فيها ولا عيب ولا خلل — والفرق بين

الاسم والصفة: الاسم كريم والصفة الكرم، والاسم سميع والصفة السمع.

- التقريب لا يعني المماثلة: ربنا سميع بصير والإنسان سميع بصير، وربنا يغضب ويضحك — لكن سمع الله وبصره وضحكه وغضبه ليس كشيء من خلقه أبدًا.

- القرآن كله يدور حول التوحيد: إما كلام مباشر عن الله واليوم الآخر، أو حقوق التوحيد وهي الأوامر والنواهي (لأن الآمر والناهي من صفات الرب فالاستجابة حق له)، أو عواقب وهي الجنة والنار وقصص الأنبياء ومصارع الظالمين (جزاء أهل التوحيد وجزاء أهل الشرك).

4 الرب لغةً واصطلاحًا ومنهج الدراسة

لغةً: الربوبية من ربب، والرب في كلام العرب على ثلاثة معانٍ لا تخرج عنها: المالك (يقال رب الإبل ورب البيت أي صاحبه ومالكه)، والسيد المطاع (ارجع إلى ربك فاسأله — أي الملك لأنه السيد المطاع)، والمصلح المدبر (ربة المنزل أي التي تدير شؤون المنزل).

اصطلاحًا: إفراد الله بأفعاله: الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير والعطاء والمنع والنفع والضر والإحياء والإماتة والتدبير والقضاء والقدر وغير ذلك — والكتاب سردها مجملة والشيخ يفصلها على المعاني الثلاثة.

- حفظ الكلمات الثلاث (مالك — سيد مطاع — مصلح مدبر) يلخص درس اليوم كله، وكل ما سيأتي إنما هو تفصيل لها.

- منهج الشيخ في كل معنى خمسة محاور بالترتيب: المعنى، أدلته، المطلوب اعتقاده، الانحراف فيه، الثمرات الإيمانية المترتبة على فهمه.

5 التدبير: الأدلة والمطلوب

من أدلة التدبير: آيات سورة النمل (أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء...)، وقصة لقمان بعد آية (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) إذ ربطها مباشرة بقوله (يا بني لا تشرك بالله)، وآيات يونس (قل من يرزقكم من السماء والأرض... فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)، وحديث: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.

وطريقة القرآن: يجيء بتوحيد الربوبية ليستدل به على وجوب توحيد الألوهية — لأن مشكلة الرسل مع أقوامهم لم تكن في الربوبية (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)، ومن أوائل آيات القرآن: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم — ومثاله الرجل الذي كان يعبد سبعة (ستة في الأرض وواحدًا في السماء) فسأله النبي: من الذي تعده لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء — قال: فاعبد الذي في السماء.

- المطلوب اعتقاده: الله وحده له الخلق والرزق والإحياء والإماتة والضر والنفع والعطاء والمنع استقلالًا لا شريك له — والبشر مجرد أسباب يجعلهم الله في أشياء: فالمدير لا يرزقك والشغل لا يطعمك.

- الشرك في الربوبية: اعتقاد أن أحدًا غير الله يخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت أو يدبر أو ينفع أو يضر – ولا عبرة بالتسمية (ربوبية أو غيرها): مشرك بالله وكفى.

6 الانحراف في التدبير والشبهة والثمرات

صور الانحراف: الملاحدة في الأسباب والطبيعة (يقولون غضبت الطبيعة – فيعتقدون أنها تخلق وترزق وترسل المطر)، وغلاة الصوفية في المقبورين والأضرحة (يعتقدون أنهم ينفعون ويضرون وأن لهم بعد الموت تصرفًا في الكون – ولذلك يدعونهم ويستغيثون بهم)، والنصارى في المسيح (يعتقدون أنه يحيي ويميت حقيقة لأنه الإله عندهم – ونحن نعتقد أنه كان يحيي بإذن الله، وأن الدجال سيحيي ويميت بإذن الله، فكل معجزات الأنبياء لم يكن في أيديهم منها شيء)، والفراعنة واليونان (إله لكل شيء: الحرب والسلام والحب والمطر – كمسلسل هرقل نصف الإله الذي يتفرج عليه أولادنا وهم يضحكون لشرك أكبر).

والقاعدة الكاشفة: الفعل أثر الاعتقاد – فصرف العبادة لغير الله (فساد الألوهية) دليل حتمي على خلل في الربوبية، إذ لو اعتقد أنه لا يملك شيئًا لسأل الله وحده (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله).

والشبهة: قوله (والمدبرات أمرًا) – والجواب بآية التحريم (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون): أي يدبرون ما أمرهم الله به، فهم في النهاية مأمورون مربوبون – والقاعدة: الآية المشتبهة تُضبط بآية أخرى تعدل الفهم.

ومن الثمرات: سكينة الرزق (رزقك بيد واحد فلا يتشتت قلبك بين رئيس وملك ومدير وأزمة — حاتم الأصم: علمت أن رزقي بيد الله فاطمأنت نفسي — وعكسه المضطرب في البورصة الذي ظن السهم يرزقه)، وقوة القلب (لا تخف من ساحر ولا جن ولا ظالم: وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله — العز بن عبد السلام وقف موكب أيوب وناداه باسمه مجردًا: ذكرت عظمة الله فرأيته مثل القط — والغلام قال للملك: إنك لست بقاتلي)، وحلاوة الدعاء (تدعو المدبر المصلح بثقة: اللهم اقض عني الدين، اللهم اكفني بحلالك، اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك — لأن الظالم لا يملك شيئًا والذي سلطه والذي يصرفه هو الله).

الصورة المنحرفة	وجه الخلل في التدبير
الملاحدة وقولهم غضبت الطبيعة	اعتقاد أن الطبيعة تخلق وترزق وتبعث الرياح وترسل المطر
غلاة الصوفية ودعاء المقبورين	اعتقاد أنهم ينفعون ويضرون ولهم تصرف في الكون بعد الموت
النصارى في المسيح	اعتقاد أنه يحيي ويميت حقيقة استقلالًا لأنه الإله
الفراعنة واليونان وآلهة كل شيء	إله للحرب وإله للسلام وإله للحب — لكل شيء خالق مدبر

الملك التام: الأدلة والمعنى والانحراف والثمرات 7

الملك التام لله وحده — أما ملكك لثوبك وقلمك وبيتك فملك نسبي مجازي: أتملك بقاءه من البلى والسرقة والقطع؟ أتأخذه معك إلى القبر؟ هو عارية عندك أي سلف واستعارة — وكل

من ملك شيئًا فالله هو الذي ملكه إياه (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم).

والفرق بين الملك والمليك (المالك): الملك هو التصرف والمليك هو التملك – فملك البلاد يتصرف ولا يملك الناس، وأنت تملك الدابة ولا تملك تصريفها كما تشاء – أما الله فيملك ملكًا حقيقيًا وهو مليك على ما يملكه حقيقة، فمن اعتقد أنه يملك ملكًا تامًا فهو مشرك.

من اعتقد الملك التام لنفسه أو لغير الله فقد أشرك في الربوبية، وصورته اليوم أوسع من صاحب الجنتين: كل من يقول أنا حر بمعنى لا آمر لي ولا ناهي.

- تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير.
- والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير – والقطمير القشرة الرقيقة على نواة البلح التي لا تُرى، وكذلك لا يملكون فتيلًا (الخيط في شق النواة) ولا نقيرًا (النقرة فيها) – فأهون شيء في الدنيا لا يملكه أحد.
- ومن يملك السمع والأبصار – فالله لا يملك الذوات فقط (العين) بل يملك الصفات والأفعال أيضًا (السمع والبصر).
- الانحراف الأول: صاحب الجنتين (ما أظن أن تبيد هذه أبدًا – يعتقد أنه المالك التام وأنه لا سلطان لأحد عليها – فكفر بالربوبية قبل إنكاره اليوم الآخر، لذلك جادله صاحبه في الخلق لا في البعث: أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلًا – وختمها: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

- الانحراف الثاني: مقولة أنا حر — قوم شعيب (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) فالحلل في الربوبية لا في الإنفاق — ومثلها اليوم: أصلي أو لا أصلي، ألبس الحجاب أو لا، الخمر حرية شخصية — كلها اعتقاد أن الإنسان يملك نفسه وماله ملكًا تامًا وأن لا آمر له ولا ناهي.

- الثمرة الأولى: الطاعة عن رضا كأمانة — (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار) فالسمع والبصر عارية، ومن أعطاك أمانة وقال افعل بها كذا ولا تفعل كذا فالواجب سمعنا وأطعنا — (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم): أعطاك ما هو ملكه أصلًا ثم يشتريه منك بالجنة.

- الثمرة الثانية: الحماية — له ملكوت كل شيء (يجير ولا يجار عليه: من دخل في حمايته لم يقدر عليه أحد، ومن لم يدخلها لم ينفعه أحد) — مؤمن آل فرعون وحده ضد الدنيا كلها قال (وأفوض أمري إلى الله) فكانت النتيجة (فوقاه الله سيئات ما مكروا).

- التذكرة بالموت: هذه المعاني ستُدرك يوم لا ينفع الندم (فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون... فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) — لو تملك نفسك حقًا فأرجعها.

8 السيادة والتشريع وضابط الشورى

من أدلة السيادة: إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه — أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله — ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

والمطلوب: تعتقد أن الله وحده هو الذي يشرع (يقول للعباد افعلوا ولا تفعلوا) ولا يحل لأحد أن يشرع معه تشريعًا يضاد شرعه – والكفر بالطاغوت شرط الإيمان (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله): فلا يكفي أن تقول أنا مؤمن بالله وتسكت عمن يشرع، ومن اعتقد جواز تشريع مضاد فهو مشرك في الأمر والنهي والسيادة (كمن قال: الله إله وغيره أيضًا ينفع يكون إلهًا – فما قال لا إله إلا الله).

- النصارى: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا – عدي بن حاتم (وكان نصرانيًا وعليه صليب) سمع الآية فقال: ما اتخذناهم أربابًا (ما سجدنا لهم ولا ركعنا) – فصحح النبي فهمه المحدود: ألم يحلوا لكم الحرام فأحللتموه ويحرموا عليكم الحلال فحرمتموه؟ قال: نعم فعلنا – قال: فتلك عبادتهم – فسماهم الله أربابًا لأن الخلل في الربوبية (السيادة) لا في السجود.

- المجالس التشريعية: إن قيدتها مرجعية الشريعة (كالمادة الثانية عندنا: الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع) تقيدت ولم تكن كفرية – وإن جعلت التشريع المطلق للشعب (الخمر حلال؟ موافقة – الزنا حرية شخصية؟ موافقة) فهذا شرك بالله، والناس قسمان: كافر بما يحصل (مؤمن) ومعتقد بأحقيتهم في التشريع (كافر مثلهم بمجرد الاعتقاد، لأن التوحيد هنا علمي خبري: عقيدة).

- مقولة الشعب مصدر كل السلطات: صحيحة في القضائية والتنفيذية – مستحيلة في التشريعية فهي حق الله وحده، فلا يقال في غرب ولا شرق ولا بلاد مسلمين ولا كفار: نكفر بكل من يشرع غير شرع الله.

- ضابط الشورى: جائزة في أمور الدنيا وما لم ينزل فيه حكم شرعي – الحباب بن المنذر في بدر سأل النبي بأدب: أمنزل أنزلكه الله أم الرأي والمشورة؟ (فإن كان وحيًا فسمعنا وأطعنا بلا كلام، وإن كان رأيًا فالمكان الفلاني أنسب) فأخذ النبي برأيه – وحرام فيما نزل فيه تشريع: لا شورى في الزنا والربا والخمر، فمصادمة انفراد الله بالأمر والنهي شرك.

الفيديو الأصلي: https://www.youtube.com/watch?v=TH_1ruHG15s

صراط – راجع الدرس الأصلي قبل اعتماد أي حكم